

العلاقات البريطانية-البحرينية

الاستاذ المساعد الدكتور

قبس ناطق محمد (*)

مقدمة

تعد منطقة الخليج العربي من اهم المناطق الاستراتيجية في العالم، ليس لاهمية موقعها الجغرافي كنقطة وصل بين الشرق والغرب، وانما لكونها تحتوي على اكبر احتياطي للنفط في العالم، وبحثنا هذا يمثل خطوة نحو توضيح علاقة بريطانيا بالخليج العربي عامة والبحرين خاصة، للكشف عن حقيقة المصالح البريطانية ومحاولاتها الاستعمارية للسيطرة على المنطقة تدريجياً والعمل على ابعاد الدول المنافسة لها في الخليج. واعتبرت بريطانيا أي سيطرة او تواجد بمثابة تهديد لأمن المنطقة وسلامتها، فضلاً عن ذلك كشف البحث عن العلاقات التي ربطت بريطانيا ببعض شيوخ العرب من خلال المعاهدات لتضمن ولائهم لها حتى لا تضطر الى الوقوف بوجه دولة استعمارية اخرى لا ترغب في مواجهتها.

البحث انضوى على عدة محاور مهمة اكدت على اهمية الموقع الإستراتيجي للبحرين وأهمية اختيار بريطانيا للبحرين الذي لم يكن مصادفة، وانما كان بتخطيط وتدبير غاية في الدهاء، علماً ان هذا التدخل بدأ مبكراً عن باقي المشيخات العربية من خلال المعاهدات والاتفاقيات التي عقدها بريطانيا مع البحرين في وقت مبكر من التاريخ الحديث، لقد اثبت التاريخ العربي بأن الذرائع والحجج الواهية التي يتشدد بها الاستعمار غير قادرة بالمرّة على منع قدرات المنطقة العربية في المواجهة والتصدي لها.

تمهيد

البحرين مجموعة من الجزر تبلغ مساحتها حوالي ٦٢٢ كم، واكبر هذه الجزر جزيرة البحرين^١ طولها ٤٥ كم^٢ وعرضها ١٥ كم^٣ وبها ينابيع مياه عذبة وتزرع فيها محاصيل الخضراوات، وبينها وبين الساحل العربي ١٢ ميلاً وبين الساحل الفارسي ١٨٢ ميلاً^٤.

(*) استاذ في كلية التربية للبنات-جامعة بغداد.

^١ عادل رضا، عمان والخليج "قضايا ومناقشات"، مصر، ١٩٦٩، ص ٢٣.

^٢ فيليب رفلر واحمد سامي مصطفى، جغرافية، الوطن العربي (دراسة طبيعية اقتصادية سياسية مع دراسة شاملة)، ط٤، مكتبة النهضة المصرية، ١٩٧٠، ص ٤٠.

تقع جزيرة البحرين في حوض الخليج العربي بين دائرتي عرض ٢٥ - ٢٦ شمالاً وبين خطي طول ٥٠ - ٤٥ شرقاً، وتحل مدخل خليج سلوى الذي يفصل بين جزيرة قطر في الشرق عن المنطقة الشرقية من المملكة العربية السعودية في الغرب.

وهذه الجزر امتداد طبيعي للجزيرة العربية وكانت متصلة بالساحل الشرقي لجزيرة العرب وانفصلت عنها نتيجة لبعض تحركات القشرة الأرضية في العصور الجيولوجية المختلفة، ويصلها الآن بشبه الجزيرة العربية جسر الملك فهد المكون من أربعة أرصفة واسعة والذي افتتح عام ١٩٨٦.

يتميز موقع البحرين بأنه في منتصف دائرة قطرها نحو ٥٠٠٠ كم تشمل جميع أراضي مسقط والامارات العربية و جنوب ايران وجنوب العراق والساحل الشرقي للسعودية ودولة الكويت، وهذا يؤدي الى سرعة وسهولة اتصال البحرين مع الاقطار.

كما يشكل هذا الارخبيل اكبر مجموعة جزرية في الخليج العربي وقسم عمرانياً فقد اوردت النصوص التاريخية ان اول تقدم تجاري بحري ظهر في هذه الجزر على يد الفينيقيين والكنعانيين وتغير اسم هذه الجزر مرات عديدة، كما تعرضت للسيطرة الاجنبية والمنازعات المحلية والعالمية سنين طويلة.

وتتألف البحرين من مجموعة من الجزر يقدر عددها بـ ٣٠ جزيرة. بعضها صحراوي قاحل وبعضها مأهول بالسكان، وان اهم هذه الجزر جزيرة (المنامة) بين خطي الطول الشرقي (٥٠.٢٢ - ٥٠.٤٠) وخطي العرض الشمالي (٢٥.٤٧ - ٢٦.١٨) يبلغ طولها حوالي ثلاثين ميلاً، ومجموع معدل عرضها تسعة اميال. وهذه جزيرة واحدة الى الشرق وهي المحرق واخرى الى الغرب هي البدع.

3 معهد البحوث والدراسات العربية، دولة البحرين (دراسة في تحديات البيئة والاستجابة البشرية) القاهرة، ١٩٧٥، ص ٤٩.

<http://bahrain.kob.com>

5 احمد رمضان شقيلة، الجغرافية الاقتصادية لجزر البحرين (دراسة جغرافية واقتصادية) الارشاد، ط١، بغداد، ١٩٨٠، ص ٢٤.

6 سالم سعدون المبادر، الخليج العربي دراسة في جغرافية الاقليمية دار الحرية للطباعة، ١٩٨١، ص ٢٣٨.

The new encyclopacdia Britannica, vol: 1, U.S.A. 1986

8 المبادر، المصدر السابق، ص ٢٣٨.

9 امين الريحاني، ملوك العرب، نجد والكويت، عربستان، البحرين، العراق، ج٢، دار النشر للطباعة والنشر، ط٥، بيروت، ١٩٦٧، ص ٢٠٦.

تقع حدود البحرين مع جميع جاراتها ضمن مياه الخليج العربي التي تتخذ شكل الممرات، فمع السعودية لا تمتد لأكثر من ٩٥ كم ومع قطر ١٥ كم ونظراً لضيق المسافات المائية بين البحرين وجاراتها العربيات فقد اضطرت الى وضع الحدود بينها وبين البحرين عن طريق عقد المعاهدات التي تحدد تلك الحدود بينها، ورغم ذلك فقد سببت حدودها مع قطر مشكلات سياسية واقتصادية خاصة حول ملكية منطقة الزبارة وجزر حوار^{١٠}.

لقد تعددت تسمية البحرين منذ القدم حتى الوقت الحاضر فقد سميت (نلمون) منذ نحو ٣٠٠٠ ق.م زمن الحكم السومري والبابلي، وفي عصر الجاهلية اسماها سكانها "اوال AWAL" نسبة الى صنمهم انذاك، اما اصل اسم البحرين الحالي فقد اختلفت فيه الاراء واقربها الى الحقيقة اثنان الاول ان اسم البحرين الحالي كان يطلق على الساحل الشرقي لشبه الجزيرة العربية والتي كانت جزر البحرين ضمن اراضيه^{١١} والثاني يقول ان اسم البحرين يرجع الى وقوع هذه الجزر بين عشرات الينابيع البحرية العذبة وبين مياه الخليج المالحة^{١٢}، اما سكان البحرين فمعظمهم عرب يرجعون في اصلهم الى سلالات عربية بعضها كان يقطن تلك المناطق منذ عهد بعيد، والبعض الآخر جاء اليها من الجزيرة العربية في مراحل مختلفة.

وابرز عشائر البحرين العتوب الذين يرجعون الى بني عتبة^{١٣} والسادة من سلالة الرسول الاكرم "صلى الله عليه واله وسلم" والدواسر وغير ذلك من القبائل التي تنتمي الى بني خالد وآل خليفة الذين هم حكام البلاد^{١٤}، كما توجد في البلاد اقلية اخرى، اما بالنسبة للدين فان الدين الاسلامي هو الدين الرسمي للبلاد، كما ان هناك عدداً كبيراً من الهندوس وبعض النصارى واليهود^{١٥}.

وبعد استخراج اللؤلؤ من البحر مصدر الثروة الاول بالنسبة للسكان، ولؤلؤ البحرين من اروع اللآلئ في العالم واغلاها ثمناً، ويرجع السبب في ذلك الى وجود

١٠ ناحية تابعة لقضاء قطر في العهد العثماني، تقع على الساحل مقابل جزيرة البحرين من جهة الجنوب، اول من عمرها ونزل بها هو الشيخ احمد رزق الخالدي في حوالي ١٢٢١ هـ واصلهم من المنامة، سكن الزيارة قبيلة ال (بو علي) والجلهمة والمعاودة وقد ولد فيها ثاني اكبر جد لآل ثاني حكام قطر، للمزيد محمود بهجت عدنان، تاريخ قطر العام، مطبعة المعارف، بغداد ١٩٦٦، ص ٦٣.

١١ شقيلية، المصدر السابق، ص ١٤-٢٥.

١٢ عبد الله وليمس (وليم ريتشارد وليمس)، جولة في الخليج العربي، ترجمة سليم طه التكريتي، دار منشورات البصري، بغداد، ١٩٦٢، ص ١٩.

١٣ جان جاك بيربي، الخليج العربي، ترجمة نجدة هاجر وسعيد الغز، بيروت، ١٩٥٩، ص ٦٨.

١٤ زاهية قدورة، تاريخ العرب الحديث، بيروت، ١٩٧٥، ص ٩٨.

١٥ امين الريحاني، المصدر السابق، ص ٢٠٧.

الينابيع العذبة في قاع البحر، ومغاص اللؤلؤ في البحرين اكبر مفاص في العالم^{١٦}. وقد قلت اهمية اللؤلؤ في كونه المصدر الاول للثروة وذلك بعد ظهور اللؤلؤ الصناعي، لا سيما ان طريقة استخراج اللؤلؤ لا تزال قديمة وتتطلب الكثير من الجهد فضلاً عن الاخطار التي تسببها^{١٧}. وقد عبر العقاد عن اهمية هذه العملية حيث قال ان الغوص في البحرين مسألة حيوية، فقد ظهر رد فعل عنيف هناك حينما فكرت شركة بريطانية في سنة ١٨٧١ ان تنافس العرب في هذه الصناعة وذلك للحصول على امتياز لاستخراج اللؤلؤ وقد عدلت الشركة عن ذلك اذ ادركت ان مثل هذا الامتياز يتطلب استخدام قوة لصد العرب عن مقاومتهم^{١٨}. وتعد البحرين مركزاً لصناعة اللؤلؤ في الخليج، وكانت لذلك مصدر خلاف بين الدول المجاورة^{١٩}. كما نشطت تجارة البحرين على يد العتوب وبشكل واضح من خلال اسطولها التجاري الذي ساعدهم على القيام بنقل السلع ما بين مسقط والبصرة وغيرها من مناطق الساحل الغربي للخليج، كما سيطر ال خليفة على تجارة اللؤلؤ في الخليج مما ادى الى ارتفاع مكانتهم التجارية في المنطقة^{٢٠}. كما ان البحرين ملائمة لانشاء محطة بحرية فيها من الناحية الجغرافية لموقعها المتوسط بين رأس مسندم ومدخل شط العرب وارضها الخصبة ومناخها يلئم الاوربيين اكثر من جزيرة قشم او مسقط^{٢١}.

اما مساحة البحرين الاجمالية فانها تختلف من وقت الى اخر لارتباطها بظاهرة المد والجزر في مياهها الاقليمية. وتنقسم جزر هذه الدولة الى مجموعتين اولهما جزيرة المنامة وتوابعها وعددها سبعة عشر جزيرة وثانيهما جزيرة حوار وتوابعها وعددها ستة عشر جزيرة^{٢٢}. اما الزراعة فموجودة في شمال جزيرتي المنامة والمحرق وفي بعض جهات جزيرة سترة وتزرع فيها المحاصيل الزراعية المختلفة وتوجد على

16 امل ابراهيم الزياتي، البحرين بين الاستقلال السياسي والانطلاق الدولي، ط٢، القاهرة، ١٩٧٧، ص ١٤-١٨.

17 زاهية قدورة، المصدر السابق، ص ٩٩.

18 صلاح العقاد، التيارات السياسية في الخليج العربي، مكتبة الانكلو المصرية، بنون مصر، ١٩٧٤، ص ٤١.

19 م.ف. سيتون وليمز، بريطانيا والدول العربية، ترجمة احمد عبد الرحيم مصطفى، مصر، ٢١٩.

20 نورية محمد ناصر الصالح، علاقات الكويت السياسية بشرقي الجزيرة العربية والعراق، من ١٨٦٦-١٩٠٢، منشورات ذات السلاسل، الكويت، ١٩٧٧، ص ٥٠.

21 ب.ل. نارين، لمحة في بعض الوثائق التاريخية حول العوامل المؤثرة على المصالح البريطانية في الخليج العربي عام ١٩٠٧، مجلة الوثيقة، العدد الثالث عشر، السنة الستة عشر، ١٩٨٨، ص ١٧.

22 شقثية، المصدر السابق، ص ٢٥.

كثيرة تساعد على ري الاراضي وقد سميت البحرين (حديقة الخليج) او (لؤلؤة الخليج) وذلك لخصوبة اراضيها وتعدد مزارعها وانتشار العيون العذبة^{٢٣}.
اما بالنسبة لنسب آل خليفة فأنها احدى العائلات الثلاثة^{٢٤} التي تؤلف عشيرة العتوب التابعة لقبيلة عنزة، كانت تسكن هذه العائلة في الاصل الصحراء العراقية لكنها نزحت نحو منطقة نجد في شبه الجزيرة العربية ثم استوطنت الكويت سنة ١٧١٦^{٢٥}. وفي اثناء حكم الشيخ عبد الله الاول الصباح الحاكم الثاني للكويت خرج آل خليفة عن الكويت بعد ان ابطلوا تحالفهم مع آل صباح، الى الزبارة في قطر ثم استولوا على البحرين في الخليج العربي^{٢٦}. وعلى اثر نجاح آل خليفة في موطنهم الجديد بالزبارة ازداد نفوذهم وقوتهم تبعاً لذلك، مما اثار مخاوف الشيخ نصر آل مذكور^{٢٧}، زعيم قبيلة بومهيير وشيخ بوشهر والبحرين، وقد بذلت عدة محاولات للاستيلاء على الزبارة واخراج آل خليفة منها، وتشير المصادر الى ان آل صباح لم يتركوا بني عمومهم في الزبارة لكي يعصف بهم عرب بوشهر فساندوهم ووقفوا الى جانبهم يؤازروهم خصوصاً عندما تأزم موقفهم بنزول الجيش الفارسي في الزبارة للاستيلاء عليها غير انهم واجهوا مقاومة من سكانها اضطروا على اثرها الى مغادرة الزبارة^{٢٨}.
تابع آل خليفة المعركة ونقلوها الى البحرين بمساعدة عتوب الكويت وقبائل من قطر ولم يصادف المهاجمون مقاومة تذكر في البحرين لان حاكمها الشيخ نصر تركها وفر هارباً الى بوشهر فتم احتلال البحرين بعد شهر من هزيمة قوات الشيخ نصر في معركة الزبارة، وانسحبت حاميات البحرين الى بوشهر في اب ١٧٨٣^{٢٩}. وفي هذه المرحلة استقام الامر هناك لآل خليفة وفي بعض الاوقات امتد حكمهم الى "الزبارة" ولم تكن في البحرين عاصمة لآل خليفة بل كانوا في الزبارة ويرسلون الى البحرين

٢٣ زاهية قدورة ، المصدر السابق، ص ١٠٠.

٢٤ العائلتان الاخيرتان هما في عائلة الصباح حكام الكويت وال سعود حكام السعودية.

٢٥ ملف العالم العربي، الدار العربية للوثائق، البحرين اسرة آل خليفة ب-١/١٠٣ رقم ١٦١١، ١٨ حزيران ١٩٨٠.

٢٦ راشد عبد الله الفرحان، مختصر تاريخ الكويت وعلاقتها بالحكومة البريطانية والدول العربية، مصر، ١٩٦٠، ص ١٥٨.

٢٧ (ال مذكور) وهم احدى قبائل المطارين العمانية، استوطنوا بوشهر عام ١٦٤٦، وفي عام ١٧٥٣ احتل الشيخ نصر البحرين واستقر فيها للمزيد ينظر:- احمد جودة جبار، البحرين من ١٨٢٠-١٨٧١ (دراسة تاريخية في علاقاتها الاقليمية) رسالة ماجستير (غير منشورة)، معهد التاريخ العربي والتراث العلمي للدراسات العليا، بغداد ٢٠٠٢، ص ٤٧.

٢٨ نورية الصالح ، المصدر السابق، ص ٤٩.

٢٩ معهد البحوث والدراسات العربية، المصدر السابق، ص ١٧.

واليا من قبلهم وبعد مدة من الزمن انتقلت عاصمتهم الى مدينة المنامة في البحرين وارسلوا من قبلهم واليا الى الزبارة^{٣٠}.

انتزع آل خليفة جزر البحرين من العرب المواليين للفرس وجعلوها جزءاً من دولتهم، ونصب الشيخ احمد بن خليفة اول حاكم على البحرين لان اخاه محمد بن خليفة كان قد توفي بينما كان يؤدي فريضة الحج في مكة^{٣١}.

واطلق على احمد لقب الفاتح حيث قامت البحرين كأمانة على يده عام ١٧٨٣ مع احتفاظه بالزبارة مركزاً لعملياته الدفاعية وتعيين احد افراد عائلته على شؤون البحرين^{٣٢}.

توفي الشيخ احمد عام ١٧٩٦ وتولى الامارة من بعده ابناؤه سلمان (١٧٩٦ - ١٨٢٥) واخوه عبد الله وقد فضل سلمان نقل سلطته من الزبارة الى البحرين واتخذ الرفاع مقراً له^{٣٣}.

وفي عام ١٨٠٢ قام الشيخ سعيد حاكم مسقط بالهجوم على الامارة واتخذ الشيخ سلمان الى حاكم نجد عبد العزيز بن سعود طالباً المساعدة وارسل الاخير جيشاً تمكن من طرد الغزاة، ولكنه اجبر عائلة آل خليفة بالاقامة في الدرعية التي كانت آنذاك عاصمة السعوديين^{٣٤} وتولى بنفسه حكم الامارة مكانهم، ولكن هيمنة آل سعود على الامارة كانت لمدة قصيرة من الزمن فقد طردوا من الامارة على يد قريب لعائلة آل خليفة هو عبد الرحمن الفضل واستعاد سلمان وعبد الله العرش وبعد فشل حكم مسقط بالهجوم على الامارة خلال الاعوام ١٨٢٤ - ١٨٢٨ اضطر الى الاعتراف رسمياً باستقلال البحرين عام ١٨٢٩^{٣٥}.

توفي الشيخ سلمان سنة ١٨٢٥، حاول الشيخ عبد الله ان ينفرد بالسلطة في ان يبعد ابناء سلمان ويقرب ابناءه مما فجر صراعاً داخل اسرة آل خليفة استمر لسنوات طويلة وعلى مدى اكثر من جيل^{٣٦}. خلف سلمان ولده الشيخ خليفة كحليف مشارك الى جانب عمه الشيخ عبد الله وبعد وفاة خليفة انفرد عبد الله بالسلطة، وعمر

30 علي الشرقي، العرب والعراق، ط١، بغداد، ١٩٦٣، ص٤٢.

31 محمود بهجت سنان، درة الخليج العربي، ط١، بغداد، ١٩٦٣، ص١٢٩-١٣٠.

32 امين الريحاني، المصدر السابق، ص٢٥٨.

33 عبد العزيز عبد الغني ابراهيم، علاقة ساحل عمان ببريطانيا (دراسة وثائقية)، مطبوع في لندن.

الملك عبد العزيز، الرياض، ١٩٨٢، ص١٢٩.

Abdul Sattar Fawzi, The Persian claim to Bahrain, Baghdad, 1971 pp.809.

35 مذهب العالم العربي، اسرة آل خليفة، المصدر السابق.

36 J.B.Kelly, Britain and the Persian Gulf 1795-1880, Oxford University press, 1968, p221.

حكم الشيخ عبد الله يقول لوريمر ان عدداً كبيراً من رعايا الشيخ عبد الله يزدادون ضيقاً بحكمه يوماً بعد يوم وان سكان الجزر اخذوا ينزحون عنها، فالمدن كانت في حالة خراب، وظهر ستة من اولاد الشيخ استقلالاً وحكماً مستقلاً كان همهم منصرفاً الى انتزاع المال من التجار والاغنياء.^{٣٧}

اما المدة التي قضاها عبد الله في الحكم فهي ٢٢ سنة وقعت فيها منازعات عدة تولى الحكم في النهاية محمد بن خليفة بن سليمان بن احمد بن محمد آل خليفة.^{٣٨} واجه محمد بن خليفة تحديات عديدة من العثمانيين والسعوديين والفرس كانت كلها تطمع بالجزيرة وضمها الى مناطق نفوذها، حاول محمد مجابهة هذه التحديات.^{٣٩} فأعترف للعثمانيين والفرس بحق السيادة على البحرين ورفع العلمين العثماني والفارسي على القلعة، (قلعة ابي ماهر في المحرق) الاول من الجهة الغربية حتى تراه السفن الخاضعة للدولة العثمانية على الساحل العربي والاثية من الغرب والثاني من الجهة الشرقية حتى يراه القادمون من فارس.^{٤٠} وبعد وفاة عبد الله بن احمد ظهر ابنه محمد بن عبد الله وسار على طريق ابيه، غير ان ثورته كانت اشد خطراً على ابن عمه (محمد بن خليفة)، اذ استطاع ان يذهب الى الدمام (في الساحل الشرقي للجزيرة العربية) معلناً ولاءه لحكومة فيصل بن تركي الذي ساعده في ارسال حملة باسم حكومة السعوديين للقيام بمحاولة غزو البحرين.

وفي سنة ١٨٥٩ بدأ فيصل بن تركي غزو البحرين، فأخذ محمد بن عبد الله على عاتقه مقاومة شيخ البحرين.^{٤١} ركز محمد بن عبد الله هجومه على البحرين وضرب النمامة. فتدخلت بريطانيا وارسلت حكومة الهند قطعتين من الاسطول قامت بقصف الدمام لتضع حداً للتطورات التي شهدتها المنطقة.^{٤٢}

³⁷ جون لوريمر، دليل الخليج، القسم التاريخي، ترجمة مكتب امير دولة قطر، ج ١، ٣، ٦، الدوحة، ١٩٦٧، ص ١٢٢٩.

³⁸ خضير نعمان العبيدي، البحرين من امارات الخليج العربي، مطبعة المعارف، بغداد، ١٩٦٩، ص ٣٩.

³⁹ فؤاد اسحق الخوري، القبيلة والدولة في البحرين، معهد الانماء العربي، ط ١، بيروت، ١٩٨٣، ص ٥٢.

⁴⁰ احمد محمود صبحي، البحرين ودعوى ايران، مطبعة عوف، الاسكندرية، ١٩٦٢، ص ١٣٧.

⁴¹ امل ابراهيم الزباني، المصدر السابق، ص ٧١.

⁴² محمد عرابي، تاريخ الاحساء السياسي ١٨١٨-١٩١٣، منشورات ذات السلاسل، الكويت، ١٩٨٠، ص ١٣٢.

⁴³ امل ابراهيم الزباني، المصدر السابق، ص ٧١.

وفي سنة ١٨٦٢ تقدم فيصل بن تركي الحاكم السعودي بطلب الصلح من محمد بن خليفة مع ابناء عمه من آل عبد الله برغبة منهم بعد ان عجزوا عن نصر محمد بن خليفة وعادوا الى البحرين فعفى عنهم الشيخ محمد وكرمهم^{٤٤}. وفي عام ١٨٦٧ ظهرت الاضطرابات من جديد في الوكرة والدوحة^{٤٥}، ضد احمد بن محمد آل خليفة الحاكم المقيم هناك^{٤٦}، حيث ثار القطريون وفي مقدمتهم آل النعيم بسبب سياسته تجاههم، مما ترتب عليه القبض على (علي بن ثامر) رئيس آل النعيم وايداعه السجن في البحرين عام ١٨٦٥^{٤٧}. فثار لذلك آل النعيم واستعانوا بالشيخ قاسم بن محمد آل ثاني^{٤٨}، الذي توجه على رأس اتباعه الى حيث يوجد عامل قطر في الوكرة فلانذ الاخير بالفرار وابلغ شيخ البحرين بما حدث في قطر^{٤٩}. قام الشيخ قاسم بن ثاني بأرسال رسالة الى حاكم البحرين شرح فيها موقف عامله وسوء تصرفه وعدم كفاءته على ادارة البلاد، وطلب منه منح قطر استقلال ادارياً وعدم التدخل في شؤونها الداخلية^{٥٠}.

فرد شيخ البحرين على الرسالة بدعوة قاسم آل ثاني الى البحرين للتباحث مع في هذا الامر، وما ان وصل قاسم الى البحرين اودع السجن، وبذلك الفعل كان مصداقاً لمحاول كسب الوقت لمهاجمة قطر فقام في عام ١٨٦٧ بالهجوم على قطر بالحالف مع شيخ ابو ظبي، وغزا الوكرة والدوحة فأستغاث ضحايا الغزو بالسعوديين، وحدثت لنجدتهم بشن هجمات بحرية متفرقة ضد سفن البحرين^{٥١}. اتاحت تلك الاحداث الفرصة امام الانكليز للتدخل لانها مخالفة لاتفاقية ١٨٦١^{٥٢}. لذلك قام الميجور بيلي (Belly) المقيم السياسي البريطاني في الخليج بمحاصرة البحرين في اب عام ١٨٦٨، وقام بمحاصرة (قلعة ابي ماهر) التي كان مرفوعاً عليها علم فارس والدولة العثمانية، فانزل العلمين ثم احرق اسطول البحر

44 محمود بهجت سنان ، المصدر السابق، ص ٦٧٥.

45 الوكرة موضع على الطرف الشرقي لشبه جزيرة قطر الى الجنوب من الدوحة.

46 سعيد عوض باوزير، معالم تاريخ الجزيرة العربية، ط٢، عدن، ١٩٦٦، ص ١٥٨.

47 بدر الدين عباس الخصوصي، دراسات في تاريخ الخليج العربي الحديث والمعاصر، ج٢، الكويت، ١٩٨٨، ص ٣٦.

48 الشيخ قاسم بن محمد آل ثاني ١٨٢٣-١٩١٣: ينتسب الى قبيلة المعاضيد القطرية من نسبهم الى قبيلة تميم، تولى الحكم في قطر منذ عام ١٨٨٧. للمزيد ينظر، موسوعة اعلام العرب

مجموعة باحثين، بغداد ٢٠٠٠، ص ٤١١.

49 فائق حمدي طهوب، تاريخ البحرين السياسي ١٧٨٣-١٨٧٠، الكويت، ١٩٨٣، ص ٢٧٨.

50 محمود بهجت سنان، تاريخ قطر العام، ط١، مطبعة المعارف، بغداد ١٩٦٦، ص ٧٣.

51 فؤاد اسحق الخوري، المصدر السابق، ص ٥٣.

52 وهي معاهدة تم التوقيع عليها في ٣١ ايار ١٨٦١ والتي سميت من قبل الحكومة البريطانية بمعاهدة الصلح الدائم او الصداقة مع بريطانيا.

الشراعي، ولم يكن باستطاعة الشيخ محمد المقاومة ففر الى الجزيرة تاركاً السلطة لآخيه (علي بن خليفة)^{٥٣}. ولم يرفع الحصار عن البحرين الا بعد ان وقع الحاكم الجديد اتفاقية ايلول ١٨٦٨، جاء في مقدمتها "ان محمداً قد ارتكب مراراً وتكراراً اعمال القرصنة، لذلك فقد زالت صفته الشرعية كشيخ البحرين الاول، واني الشيخ علي اوافق على الشروط التالية":

١. تسليم جميع السفن البحرية التي يملكها الحاكم السابق والحاكم الحالي أي (الشيخ محمد والشيخ علي)
 ٢. دفع مبلغ مائة الف روبية الى الانكليز يدفع (٢٥٠.٠٠٠) روبية دفعة أولى^{٥٤}. و (٧٥٠.٠٠٠) روبية على ثلاثة أقساط سنوية عن البحرين^{٥٥}.
 ٣. ابعاد محمد بن خليفة نهائياً عن حكم البلاد، وفي حال عودته الى البحرين على الحاكم ان يسلمه الى المقيم البريطاني^{٥٦}.
- وما كاد الشيخ علي ان يصبح حاكماً على البحرين حتى اخذ يفاوض البريطانيين للسماح لآخيه محمد بالعودة الى البحرين، ومع دخول محمد البحرين اخذت المشاكل تدب من جديد، فأبعد محمد الى الكويت ومنها انتقل الى القطيف^{٥٧}. وتحالف مع ناصر بن مبارك بن عبد الله آل خليفة^{٥٨}. وبدعم من افراد آخرين من العائلة وعدة مئات من البدو يسانده من داخل البحرين، محمد بن عبد الله حاكم مدينة الرفاع في عهد الشيخ علي، فقاموا بالهجوم على البحرين وتم احتلالها وقتل الشيخ علي بن خليفة واعلان محمد بن خليفة نفسه حاكماً على البحرين^{٥٩}. بعد ذلك انقلب محمد بن عبد الله على حلفائه فسجن محمد بن خليفة واعلن نفسه حاكماً على الامارة^{٦٠}. وجاء التدخل البريطاني ليدفع بالامور باتجاه جديد حيث قام المقيم السياسي بالتوجه الى البحرين تصحبه السفينتان الحربيتان الملكيتان دافني ونيف، وزورقاً المدفعية (كلايد وهيو روز) من بحرية بومباي، وتم قصف قلعة المنامة من اتجاه البحر وتدميرها، كما تم

53 فؤاد سعيد العايد، سياسة بريطانيا في الخليج العربي ١٨٥٣-١٩١٤، ط١، الكويت، ١٩٨٤، ص ١٤١.

54 عملة هندية لا تزال تستخدم لحد الان وكانت تساوي تقريباً (١٥) روبية باون استرليني واحد، ينظر حسني محمد القهواني، دور البصرة في الخليج العربي ١٨٦٩-١٩١٤، بغداد، ١٩٨٠، ص ٩٧.

55 خضير نعمان العبيدي، المصدر السابق، ص ٢٧.

56 الخصوصي، المصدر السابق، ص ٥٣.

57 فؤاد اسحق الخوري، المصدر السابق، ص ٥٤.

58 ناصر بن مبارك بن عبد الله آل خليفة هو زعيم آل عبد الله المنشقين عن آل خليفة.

59 J.B. Kellye op. cit, p. 682

60 . Ibid, p. 683

اسر واعتقال جميع من كان فيها عدا ناصر بن مبارك الذي فر الى البر العربي^{٦١}. وفي
نفي الحاكم الجديد الى الهند مع الشيخ محمد بن خليفة وسجنا هناك^{٦٢}. وقد توفي الاول
سنة ١٨٧٧ بينما نقل الثاني الى عدن وبعد عشر سنوات امضاها في السجن
سراحه شرط ان لا يعود الى البحرين ابداً وقد توفي عام ١٨٩٠^{٦٣}.

المبحث الاول

البحرين بعد تنصيب الشيخ عيسى بن علي حاكماً عليها

عندما قتل الشيخ علي بن سلمان آل خليفة سافر ابنه عيسى^{٦٤}، مع اخوته وشي
عمه الى قطر فنزلوا ضيوفاً عند قبيلة النعيم، وعندما استفتى الوكيل السياسي
البريطاني بيلي (Belly) اهل البحرين (رؤساء القبائل)^{٦٥}. اجمع رأيهم على تنصيب
عيسى فكتب اليه الوكيل يخبره بذلك ويسأله ان يعود فعاد مع اخوته وابناء عشيرته
وقبيلة النعيم ونزلوا في المحرق ثم نصب حاكماً على البحرين وهو في الحاشية
والعشرين من عمره، فعاد الحكم الى آل سليمان وكانت فيه خاتمة الفتن والحروب
الاهلية^{٦٦}. وقد اثارت هذه الخطوة البريطانية القاسية التي حصلت في الوقت الذي
فتحت به قناة السويس، معارضة فارس والدولة العثمانية^{٦٧}.

هيمنت بريطانيا على العلاقات الخارجية وعلى امر الدفاع عن البحرين
كاملة، وحرم حكام الجزيرة حق امتلاك اسطول حربي كما حرموا حق تصرف
الاراضي لأية قوة اجنبية سواء كانت غاية التاجير دبلوماسية ام تجارية^{٦٨}، دون موافقة
بريطانيا المسبقة وحرّموا ايضاً من حقهم الشرعي في النظر بالدعاوى المقامة
الاجانب عرباً كانوا ام فارسيين ام عثمانيين ام اوروبيين، وكانوا هؤلاء الاحد
يشكلون قطاعاً كبيراً من سكان البحرين^{٦٩}.

61 سي يو اتجيسون بي سي اس، مجموعة المعاهدات والتعهدات والسندات ذات العلاقة
(البريطانية) والخليج والجزيرة العربية، ترجمة العميد الركن عبد الوهاب عبد الستار القصير
بيت الحكمة، بغداد، ٢٠٠١، ص ٢٢٥.

62 امل ابراهيم الزياتي، المصدر السابق، ص ٧٩.

63 ملف العالم العربي، البحرين اسرة آل خليفة، المصدر السابق.

64 هو عيسى بن علي بن خليفة بن سلمان بن احمد بن محمد تاجر اللؤلؤ بن خليفة بن محمد
امين الريحاني، تاريخ نجد الحديث، المطبعة العلمية ليوسف صادر، بيروت، ١٩٢٨، ص ٢٢٦.

65 فؤاد سعيد العابد، المصدر السابق، ص ١٤٦.

66 امين الريحاني، تاريخ نجد...، المصدر السابق، ص ٢٧٦.

67 حيث كانت كل من فارس والدولة العثمانية تدعي بسيادتها على البحرين ولها فيها مصالح.

68 ملف العالم العربي، المصدر السابق.

69 فؤاد اسحق الخوري، المصدر السابق، ص ٥٠.

تم انتخاب عيسى بن علي آل خليفة اثر تداول ببلي مع وجهاء البحرين^{٧٠}، سجل هذا التدخل البريطاني في شؤون البحرين بداية وضع جديد تحرك بعده الانكليز في العقدين التاليين لاكمال سيطرتهم التامة على البلاد شهد عهد الشيخ عيسى توثيق العلاقات بينه وبين بريطانيا طوعاً على نحو اصبحت معه الكلمة العليا لبريطانيا في شتى النواحي الداخلية والخارجية^{٧١}.

تقدمت البحرين تقدماً عظيماً في التجارة والثروة واستتب فيها السلم بعد ان كانت لا تعرف السلام وقد اشتهر الشيخ عيسى بالكرم والتقوى، ولكنه كان محافظاً على القديم لا يحب التغيير ويكره كل جديد، لذا فقد كان يتصادم دائماً مع الوكيل السياسي عندما كان يريد القيام بأي عمل عمراني^{٧٢}.

كان الشيخ عيسى محبوباً لدى الاهالي، فأيدوه في حكمه واسس دوائر الشرطة والمحاكم فانتشر الامن وازدهرت التجارة وتحسن الغوص، وانشئت المدارس والبلديات ودائرتا الاوقاف والطابو في أيامه^{٧٣}.

بالمقابل لفتت البحرين انتباه الشركة الانكليزية منذ مطلع القرن الثامن عشر حيث اقترح ممثلو الشركة في الخليج العربي منذ عام ١٧٠٠ ان تنقل وكالة بندر عباس (جمبرون) الى البحرين، ومنذ مطلع القرن التاسع عشر وضعت الشركة وكيلاً لها في البحرين تابعاً لبوشهر بعد عام ١٨٢٤^{٧٤}.

وكانت سياسة بريطانيا ما بين عامي ١٨٢٠ - ١٨٦٩ ترتكز على حجة كبح القرصنة^{٧٥} والحروب متخذة اياها ذريعة للوصول الى اهدافها الاخرى فأبرمت بريطانيا معاهدات لهذا الغرض مع شيوخ كل من ساحل المهادة وقطر والبحرين بحجة ان القرصنة قامت بتهديد التجارة^{٧٦}.

⁷⁰ J.B. Kellye op. cit, p. 683

⁷¹ معهد البحوث والدراسات العربية، المصدر السابق، ص ٢٨.

⁷² حافظ وهبة، جزيرة العرب في القرن العشرين، ط٥، القاهرة، ١٩٦٧، ص ١٠١.

⁷³ جواد سليم العريض، تاريخ آل خليفة، مجلة هنا البحرين، العدد ١١٩، السنة الخامسة، كانون الاول، ١٩٦١، ص ٤٧.

⁷⁴ عبد العزيز عبد الغني ابراهيم، حكومة الهند البريطانية والادارة في الخليج العربي (دراسة وثائقية) ط١، الرياض، ١٩٨١، ص ١٥٦.

⁷⁵ تتردد كثيراً كلمة (قرصنة) في المصادر الانكليزية والحقيقة ان الانكليز خلقوا المبررات القانونية والسياسية بغية التدخل في شؤون المنطقة بدوافع تارة باسم القرصنة واخرى تجارة الرقيق، ولكن في الحقيقة تمثل هذه الكلمة المقاومة العربية ضد النفوذ الاجنبي للمزيد ينظر:- حسين محمد القهواتي، المصدر السابق، ص ١٧٩.

⁷⁶ علي ابا حسين، العوامل المؤثرة على المصالح الاقتصادية البريطانية في الخليج العربي عام ١٩٠٧، مجلة الوثيقة، العدد الثالث عشر، السنة السابعة، تموز البحرين، ١٩٨٨، ص ١٤.

لذلك ولكي تؤمن بريطانيا على مصالحها في الخليج عمل المقيم السلي البريطاني^{٧٧} كل ما في وسعه لقطع الصلة بين قطر والبحرين واستطاع فصل البحرين عن بعضهما رغم كل الصلات التي كانت تربط بينهما موهما شيوخ البحرين عن استمرار العلاقة ستغرقهم في مشاكل الساحل^{٧٨}.

وكانت النقطة الفاصلة بين البحرين والساحل هي (الزبارة)^{٧٩} التي تعد من العلاقة بين البحرين وقطر والتي بقيت تدين بالولاء لآل خليفة منذ مغادرتها والبحرين الى البحرين، وبالفعل تحالفت السعودية وقطر عام ١٨٧٠ لغزو البحرين واحتلالها واخذ الشيخ عيسى يعد العدة لمواجهةهما وما ان سمع المتحالفون بذلك تخطوا عن غزوهم للبحرين^{٨٠}.

لقد ادى احتلال الدولة العثمانية لاحساء الى ان تصبح سيادة شيخ البحرين على قطر التي كان مسلماً بها من قبل، موضع الخلاف^{٨١}، وفي سنة ١٨٧١ كتبت حكومة بومباي المقيم السياسي في الخليج الكولو نيل ببلي بكتابة تقرير عن الموضوع لكنه قام بأجازة قبل ان يضع التقرير اعتقاداً منه بإمكانية جلاء الدولة العثمانية عن الاحساء، وظل الموضوع معلقاً حتى صيف ١٨٧٣ حين تردد ان ضلطة عثمانياً قد ذهب الى الزبارة في قطر لاقناع سكانها بالاعتراف بسيادة الدولة العثمانية^{٨٢}.

تحرك شيخ البحرين ليجدد مزاعمه في السيادة على الزبارة على اسر قبيلة بني نعيم التي تقيم بالزبارة من رعاياه، وقد اعترفوا بذلك في وجود الكولو ببلي، عام ١٨٧٣ لم يعترض المقيم السياسي على الزيارة التي قام بها الشيخ عيسى لحماية البحرين في الزبارة، وهي حركة تستهدف مواجهة نشاط العثمانيين المتزايد في ذلك الجزء من الجزيرة العربية^{٨٣}.

٧٧ ليس لبريطانيا قنصل في الخليج لان وظيفة القنصل تجارية ومصالحها في الخليج تقتصر على كونها ممثلون سياسيون، ففي بوشهر يوجد وكيل سياسي اول يرجع اليه الوكلاء والمقررون السياسيون في الكويت والبحرين ولنجه وغيرها من الجزر والاساكن، اما مرجع الوكيل السياسي بوشهر فهو حكومة الهند، وبما ان البحرين فيها الكثير من الهنود فقد اطلقوا على الوكيل السياسي فيها لقباً هندياً فهو يدعى (بليوس) والمقيم ممثل بريطانيا في الخليج وكان يتبع وزارة المستعمرات حتى عام ١٩٤٩، حيث صار بعد ذلك يتبع وزارة الخارجية البريطانية ويعامل كانه سفير لبريطانيا مقره في بوشهر ثم انتقل الى البحرين عام ١٩٤٦.

٧٨ مصطفى مراد الدباغ، قطر ماضيها وحاضرها، دار الطليعة، بيروت، ١٩٦١، ص ١٤.

٧٩ ينظر ملحق رقم (١).

٨٠ مصطفى مراد الدباغ، المصدر السابق، ص ١٥.

٨١ محمد عرابي نخلة، المصدر السابق، ص ١٧١-١٧٢.

٨٢ لوريمر، القسم التاريخي، ج ٣، المصدر السابق، ص ١٢٣٦.

٨٣ جيمس بلجريق، البحرين، ترهب بكم، مطابع وزارة الصناعة، بيروت، ١٩٧٠، ص ٢٤٨.

استاءت بريطانيا حينما بدأ العثمانيون (الذين يسيطرون على قطر حيث أصبحت تابعة لهم بعد حملة الاحساء) يسيطرون سلطانهم على الساحل القطري وبلغ التوتر اوجه حينما باشر العثمانيون ببناء قلعة عسكرية في ميناء الزبارة لمواجهة للبحرين والذين عدوه خطوة على طريق تهديد البحرين^{٨٤}. فأوعزت الى الشيخ عيسى للاحتجاج على هذا العمل باعتبارها (تقع ضمن املاكه)، وفي ذات الوقت انذرت بريطانيا اسطنبول بالتدخل لحماية البحرين فتوقف العمل في القلعة^{٨٥}. في حين سعى العثمانيون على تحريض قبيلة بني هاجر بزعماء الشيخ ناصر بن مبارك آل خليفة (وهو كما مر سابقاً من المنشقين عن آل خليفة) على غزو البحرين انطلاقاً من قطر عام ١٨٧٤. ولكن المحاولات البحرية البريطانية احبطت محاولتهم وعلى اثرها تدخل شيخ البحرين مباشرة بتعزيزات مسلحة لمدينة الزبارة ولقبيلة النعيم التي عدّها احدى رعاياه وفق توجيه المقيم البريطاني في الخليج العربي^{٨٦}.

وفي ١٥ تشرين الثاني عام ١٨٧٥ تمكن ناصر بن مبارك بمعاونة قاسم بن ثاني من الاستيلاء على ميناء الزبارة، وعلى الفور طلبت حكومة الهند من الكولونيل وليم روس (Ross) بأن يقوم بالسفينة تيزر^{٨٧} Teazar. لرد ذلك الهجوم واعطته الصلاحية التامة للمحافظة على المهادنة البحرية في الخليج، وقد اشترك الشيخ عيسى بن علي مع الكولونيل روس في ذلك الهجوم مبيناً انه اذا تم لاعدائه (قاسم بن ثاني وناصر بن مبارك) الاستيلاء على الزبارة فسوف تصبح البحرين معرضة لهجمات مفاجئة، واكثر من ذلك فإن فشله في مساعدة قبائل النعيم سوف تجعل منهم بمثابة اعداء له^{٨٨}.

ووصفت العلاقات خلال عامي (١٨٧٦ - ١٨٧٧) بحالة من التوتر الشديد اثر انقسام قبيلة بن هاجر الى قسمين احدهما مع زعيمها الشيخ ناصر بن مبارك المطالب في حقوقه واملاكه في البحرين والاخرى مع قبائل النعيم المقيمة في الزبارة الموالية للبحرين^{٨٩}.

⁸⁴ رجب حراز، الدولة العثمانية وشبه جزيرة العرب ١٨٤٠-١٩٠٩، القاهرة ١٩٧٠، ص ١٦٨.

⁸⁵ جمال زكريا قاسم، دراسة تاريخ الامارات العربية ١٨٤٠-١٩١٤، الكويت، ١٩٧٤، ص ٢٢٨.

⁸⁶ J.B. Kelliye op. cit, p. 761-762

⁸⁷ هناء عبد الواحد عبد الرضا الاسدي، البحرية البريطانية ودورها في احداث الخليج العربي ١٨٥٨-١٩٠٧ دراسة تاريخية، رسالة ماجستير، غير منشورة، كلية التربية، جامعة البصرة، ٢٠٠٠، ص ٨٥.

⁸⁸ جمال زكريا قاسم، الخليج ١٨٤٠-١٩١٤...، المصدر السابق، ص ٢٣١.

⁸⁹ عصام عبد الغفور النعيمي، العلاقات السياسية القطرية - البحرينية ١٨٦٨-١٩٤٥، رسالة ماجستير غير منشورة، معهد التاريخ العربي والتراث العلمي للدراسات العليا بغداد، ٢٠٠٢، ص ٧٠.

وبحلول العام ١٨٧٨ زاد الامر سوءاً لكلا المشيختين العربيتين وتفاقم الصراع حول الزبارة وسقطت على يد الشيخ قاسم آل ثاني وبمعاونة الشيخ ناصر بن مبارك استطاع شيخ قطر من تجهيز حملة عسكرية اوقعت بقوات النعيم في الزبارة خسارة فادحة بعد حصار دام خمسة عشر يوماً عرفت باسم ((حصار الزبارة)) و ((القلعة))^{٩٠}.

وحول الموضوع نفسه تلقى المقيم البريطاني معلومات من ديكن (Dickens) قائد سفينة العرب (Al-Arab) الراسية في البحرين اثر وصوله الى المنطقة الاخرى على متن السفينة تيزر (Teazar)^{٩١}. والتي تفيد بأن هناك هجوماً يعده شيخ قطر ناصر بن مبارك لاحتلال الزبارة في الساحل المواجه للبحرين في ١٧ تشرين الثاني ١٨٧٨ وعلى اثر ذلك توجه المقيم البريطاني على متن السفينة يتزر بقيادة الكابتن ودهاوس (Wodehouse) الى الزبارة بمهمة تقصي الحقائق حتى وجد ان شيخ قطر وناصر بن مبارك يعدان العدة للهجوم على قبائل بني مرة، وقد حذر المقيم البريطاني الاثنين معاً من مغبة أي هجوم تتعرض له البحرين^{٩٢}.

كان موقف شيخ البحرين خلال هذه الهجمات التي شنّها الشيخ قاسم على رعاياه في الزبارة وبتوجيه من المقيم البريطاني بالكف عن التدخل في شؤونهم الداخلية، الا ان السلطات البريطانية كانت ترمي من ذلك عدم الاصطدام المباشر مع العثمانيين من خلال الشيخ وصلته بقبائل النعيم في الزبارة^{٩٣}.

واصدرت حكومة الهند تعليماتها الى المقيم البريطاني روس في ٢٢ تشرين الثاني بالتوجه الى البصرة على متن السفينة الحربية فلتشر لمناقشة موضوع الزبارة والفعاليات البحرية في المنطقة مع الوالي العثماني الموجود هناك، وجاءت المفاوضات بأن والي البصرة اصدر امراً لوالي القطيف العثماني بأن يطلع الحكومة العثمانية على ما يدور من احداث في المنطقة^{٩٤} او ان يرسل السفينة الحربية الاسكندرية للتوجه الى الزبارة لحسم النزاع القائم، وان يحذر شيخ قطر من قيامه بفعاليات بحرية^{٩٥} وتمكنت الاسكندرية بالفعل من ايقاف الاضطرابات الناجمة عن

٩٠ لوريير، القسم التاريخي، ج ٣، المصدر السابق، ص ١٣٦٨.

٩١ المصدر السابق، ص ١٢٤٢.

٩٢ هناء عبد الواحد، المصدر السابق، ص ٨٩.

٩٣ F.R.R. 15/2/26. Confidential, from captain F. Bprideauxpolitical Resident Bahalrain, to the political Resident in the Arab Gulf, Bushire, N.D.P. 57.

٩٤ هناء عبد الواحد، المصدر السابق، ص ٧٢.

٩٥ Kellye op. cit, p. 292

رتبت هدنة بين شيخ قطر وقبائل النعيم في الزبارة بعدم الاعتداء على البحرين وقد استسلم بنو نعيم بشروط غير منصفة ولم تعد الزبارة مكاناً اهلاً بالسكان^{٩٦}. ان قائد السفينة العثمانية (اسكندرية) استطاع عقد صلح بينهم وبين الشيخ قاسم، فقد انتقل معظمهم في البداية الى الدوحة، اقترح روس ان خير وسيلة لحماية امن وسلام الزبارة ان تكون تحت الحكم العثماني، ووافق الشيخ عيسى على ذلك لكن هذا الاقتراح لم ينفذ^{٩٧}.

وبقيت الزبارة غير مأهولة بالسكان حتى عام ١٨٨٨ عندما ذكر ان العثمانيين ينوون اعادة بناء الزبارة^{٩٨}، وخشي روس (Ross) ان يكلفوا وكيلهم ناصر بن مبارك بذلك، فأصدرت حكومة الهند تعليماتها للمقيم العام بأن يبلغ هذا الرجل والشيخ قاسم بأن بريطانيا لن تسمح باستقرارهم في الزبارة^{٩٩}. حدثت خلافات عديدة بين قاسم بن ثاني والعثمانيين ومحاولاته في التخلص منهم بالانحياز الى بريطانيا والتقرب منها، بعد ان عانى من ضغط العثمانيين المتزايد عليه^{١٠٠}.

انعكست تطورات الاحداث بين الشيخ قاسم وبريطانيا على العلاقات بين البحرين وقطر، لأن بريطانيا انكرت في عام ١٨٩٥ الاعتراف بقطر عثمانية وازافت ان وجود حامية عثمانية في المنطقة يشكل خطراً على امن البحرين وقد برهنت حوادث الزبارة عام ١٨٩٥ بما لا يدع مجالاً للشك عن ضعف العثمانيين^{١٠١}، حيث وردت الى المقيم البريطاني اخبار تفيد بوقوع تفكك في البحرين ويتلخص الامر في ان احد اخوة الشيخ عيسى اعتدى على احد شيوخ قبيلة ابو علي وقد شكى (سلطان بن سلامة) رئيس تلك القبيلة الى الشيخ عيسى^{١٠٢}، ولكن يبدو ان الشيخ تراخي في ترصيته ترصية كافية، فقرر هو وقومه الهجرة من البحرين الى قطر، وعندما استقر في الزبارة اعد خطة لغزو البحرين ملتصاً بالعون من الشيخ قاسم. وساندت الدولة

96 لوريمر، القسم التاريخي، ج ٣، المصدر السابق، ص ١٢٤٠.

97 المصدر نفسه، ص ١٢٤٣.

98 The Persian Gulf Administration Reports 1873-1947, Vol. 111 (1883-1890), archive edition. 1986, p.9.

99 عصام عبد الغفور، المصدر السابق، ص ٨٠.

100 . للاطلاع عن هذه الخلافات ينظر:- جمال زكريا قاسم الخليج ١٨٤٠-١٩١٤، المصدر السابق،

ص ٢٣٩.

101 عبد العزيز المنصور وفتوح الخترش، نشوء قطر وتطورها (دراسة تاريخية)، ط ١ منشورات

ذات السلاسل، الكويت، ١٩٧٧، ص ٥٤.

102 انجيسون، المصدر السابق، ص ٢٢٦.

العثمانية الامر وطلبت من الشيخ قاسم^{١٠٣} ان يسمح لهم بالاقامة في الزيارة كما سمحت السلطات العثمانية لهذه القبيلة برفع العلم العثماني على سفنهم العاملة في سواحل اللؤلؤ^{١٠٤}، كما اشتكى الشيخ عيسى للانكليز وطالب بالزيارة على انها من المستحقة التابعة للبحرين، احتجت الحكومة البريطانية لدى الباب العالي على كرم الضيقة التي تمنحها الدولة للقراصنة (أي آل بو علي)، وفي رد الدولة العثمانية على ذلك الاضطرار اقترحت ان تحسم الامور مع الشيخ قاسم، فقام المقيم البريطاني ويلسن بزيارة قاسم وطلب منه تسليم البو علي للبحرين ولكنه رفض ذلك الطلب^{١٠٥} وطلب جورج هاملتون وزير الدولة لشؤون الهند بضرورة استخدام القوة لدحض الادعاءات العثمانية على كل من البحرين وقطر والقطيف ولذلك اصدر الاوامر للاسطول البريطاني بمهاجمة سفن البو علي الراسية في ميناء الزيارة^{١٠٦}. وفعلاً قامت السفن البريطانية سفنكس Sphinx والبيجون Piegion بضرب ميناء الزيارة وتدمير دفاعاته وقتل القبض على (١٩٣) قارباً تابعاً لقبيلة البو علي بما فيه من رجال اقتادوهم اسرى الى البحرين. كان هذا العمل هو الرد الحاسم على فشل سياسة جورج هاملتون مع الشيخ قاسم آل ثاني^{١٠٧}، الذي اعطى الاوامر للمقيم البريطاني ويلسن بضرورة استخدام القوة ضد الخطر العثماني المهدد للبحرين مع تسليحهم حول ضرورة تسليم قوارب البو علي باعتبارهم خارجين على سلطة شيخ البحرين وانهم رجال بحر، غير ان قاسم رفض طلب هاملتون رفضاً قاطعاً^{١٠٨}. وجاء رد الفعل العثماني للتحدي البريطاني على شكل رسالة بعدد من متصرف الاحساء الى المقيم البريطاني في الخليج يتهمه فيها بخرق السلام على سواحل نجد باستيلائه على القوارب، وينذره بأن اهل قطر مصممون على مهاجمة البحرين وانه قد بذل جهده لمنعهم لكنه لا يستطيع الاستمرار طويلاً، ثم طلب رد القوارب التي تم الاستيلاء عليها من قبل بريطانيا، ونصح بنقل رعايا بريطانيا من البحرين مدة سبعة عشر يوماً ابتداء من التاسع عشر من اب^{١٠٩}. وعلى اثر ذلك تحركت السفن البريطانية في السادس من ايلول ١٨٩٥ بحجة انقاذ البحرين من الغزو العثماني.

Antonic cooper Busch, Brition and the Persian Gulf 1894-1914, University of Califlifornia press, 1967, p. 27.

104 عصام عبد الغفور، المصدر السابق، ص ٨٧.

105 محمود حسن الصراف، تطور قطر السياسي والاجتماعي في عهد الشيخ قاسم بن محمد ثاني، القاهرة، ١٩٨٠، ص ١٠٥.

106 جمال زكريا قاسم، الخليج ١٨٤٠-١٩١٤...، المصدر السابق، ص ٢٤٥.

107 محمد عرابي نخلة، المصدر السابق، ص ٢٢٣.

108 لوريمر، القسم التاريخي، ج ٣، المصدر السابق، ص ١٣٩٠.

109 المصدر نفسه، ص ١٣٩٢.

يهددها^{١١٠}، وفتحت السفينتان سفنكس والبيجون نيرانها على القوات الراسية في ميناء الزبارة، فدمرت اربعة واربعين قارباً في مدة قصيرة^{١١١}، وتمكنت القوات التجريبية البريطانية من تدمير ميناء الزبارة، واختفى العلم العثماني ومعه العثمانيون، وحاول قاسم القاء تبعة ما حدث ليبريء نفسه على متصرف الاحساء، لانه قام بأصدار الاوامر وليس للشيخ القدرة على الرفض^{١١٢}. وبالتالي قبل الشيخ قاسم الشروط المبدئية التي املاها القائد بيلي والتي شملت ارتحال قبيلة البو علي من الزبارة، وان يصرف الشيخ قاسم حشود البدو التي اجتمعت حوله، ونقل ما يزيد عن ١٢٠ سفينة الى البحرين، وفرض ضريبة تعويضية (٣٠.٠٠٠) روبية عن الاضرار التي لحقت بالرعايا البريطانيين^{١١٣}، وعندما رفض الشيخ قاسم دفع الغرامة قامت بريطانيا بمصادرة جميع سفن القطريين التي كانوا قد استولوا عليها^{١١٤}. ان تدمير الزبارة كان بمثابة نوع من الاخلاص للشيخ عيسى الذي بعث الى المقيم يخبره بأنه لولا تحطيم ذلك الميناء لأضحى فريسة لمؤامرة كبيرة دبرها له الكثيرون، على رأسهم قاسم بن ثاني وسلطان بن سلامة والبو علي وابدى الشيخ عيسى امتنانه الكبير لبريطانيا التي حمته من هذا الهجوم الإثم^{١١٥}، الحقيقة ان بريطانيا لم تقم بذلك العمل من اجل شيخ البحرين، ولكن خوفاً من ان يشكل هذا الموضوع تهديداً واضحاً لمصالحها في المنطقة. وبهذه الصورة اخذت العلاقات بين البحرين وقطر تأخذ مساراً اخر وطوبت مسألة الزبارة في هذه المرحلة^{١١٦}.

¹¹⁰ F.O. 78/3 110 from col. I.H. peely commander and senior iraval officer to col. F.A. Wilson 7th, sep, 1895.

¹¹¹ محمد عرابي نخله، المصدر السابق، ص ٢٢٣.

¹¹² محمود حسن الصراف، المصدر السابق، ص ١٠٦.

¹¹³ Busch, op. cit., p. 136

¹¹⁴ لوريمر، القسم التاريخي، ج ٣، المصدر السابق، ص ١٣٩٢.

¹¹⁵ جمال زكريا قاسم، الخليج ١٨٤٠-١٩١٤...، المصدر السابق، ص ٢٤٨.

¹¹⁶ عصام عبد الغفور، المصدر السابق، ص ٨٩.

المبحث الثاني التدخل البريطاني في البحرين واحكام السيطرة عليها أولاً:- معاهدة ١٨٨٠:

كان اول ما فعله الشيخ عيسى عقده معاهدة مع بريطانيا في الثاني والعشرين من ايلول عام ١٨٨٠، وتحديدأ بعد عشر سنوات من حكم الشيخ عيسى البحرين فكان عقدها بداية لسلسلة من الاتفاقيات ضمننت لبريطانيا سيطرتها ونفوذها وعززت مصالحها، وحددت العلاقة السياسية بين بريطانيا والبحرين بوجه عام^{١١٨}. ولما كان مركز المقيم العام البريطاني في الخليج العربي قد اصبحت من الاهمية بحيث تتولاه شخصيات كبيرة منذ عهد الكولونيل بيلي^{١١٩}. استطاع الكولونيل روس Ross من صياغة بنود هذه المعاهدة^{١٢٠}. كما ان بريطانيا ألزمت شيوخ الخليج العربي بمجموعة التزامات حيث ألزمتهم بعدم الدخول في أية اتفاقيات او مراسلة لية دولة اخرى عدا بريطانيا او الموافقة على اقامة وكيل لحكومة اخرى داخل اراضيهم، وليس لهم ان يتنازلوا او يرهنوا او يبيعوا او يسمحوا بأحتلال أي جزء من اراضيهم للحكومة البريطانية، وبالمقابل تعهدت الحكومة بالدفاع عنهم وتمثيلهم في علاقات الخارجية، وقد وصفت هذه المعاهدات بأنها (مانعة ابدية) فهي مانعة لانها تتضمن تمنع الشيخ الموقع على المعاهدات من ان يتخلل او يؤخر او يرهن قسماً من ارضه الا بأذن بريطانيا الدولة الوصية التي تقدم مقابل ذلك حمايتها وهي ابدية طالما ان انتهاءها ليس مقيداً بوقت معين^{١٢١}.

ويذكر رجب حراز، ان هذه المعاهدة عقدت بعدما تجددت عام ١٨٨٨ محاولات العثمانيين للسيطرة على جزر البحرين، ويرى روس (Ross) ان خير وسيلة لمنع العثمانيين من ضم جزر البحرين هو وضع هذه الجزر رسمياً تحت حماية بريطانيا^{١٢٢}. وقد جاءت هذه الاتفاقية على صورة تعهد من جانب واحد وقعها الشيخ عيسى^{١٢٣}. ووضعت هذه المعاهدة البحرين تحت الحماية ومنحت بريطانيا جميع الحقوق والظروف المناسبة للسيطرة، وقد جاء في المعاهدة الموقعة عام ١٨٨٠:

117 امين محمد سعيد، ملوك المسلمين المعاصرين ودولهم، مطبعة عيسى البابي الحلبي، القاهرة، ١٩٣٣، ص ٤٧١.

118 السير ارنولد ويلسون، الخليج العربي، مجمل تاريخي، منذ اقدم الازمنة حتي اوانل القرن العشرين، تعريف عبد القادر يوسف، مؤسسة مرزوق الصحفية، الكويت، د.ت، ص ٣٩٧.

119 صلاح العقاد، الاستعمار في الخليج العربي، القاهرة، ١٩٥٦، ص ٣٩٧.

120 الخصوصي، المصدر السابق، ص ٥٣.

121 غانم محمد صالح و خليل فضيل الكبيسي، الخليج العربي، بغداد، ١٩٨٤، ص ٥٣.

122 رجب حراز، المصدر السابق، ص ١٦٩.

123 معهد البحوث والدراسات العربية، المصدر السابق، ص ٢٩.

الشيخ عيسى بن علي آل خليفة شيخ البحرين الزم نفسي ومن يخلفني في حكومة البحرين^{١٢٤}. بما يلي: ١. ان لا يدخل في اية مفاوضات او يعقد اتفاقيات من أي نوع دون موافقة الحكومة البريطانية. ٢. ان لا يمنح اية دولة امتيازاً بتأسيس قنصليات او انشاء مستودعات لوقود السفن في ممتلكاته بدون الحصول على موافقة بريطانيا^{١٢٥}.

ان هذا الاتفاق لا يؤثر قط على العلاقات الموجودة بين الحكومة البريطانية والحكومات المحلية المجاورة ولا ينفذ عليها^{١٢٦}. ويجوز لحكومة البحرين الاتصال المباشر مع جيرانها بشأنها، وهكذا تحكمت بريطانيا في علاقات البحرين الخارجية بعد ان كانت المتصرفة في شؤونها الداخلية بحكم معاهدة ١٨٦١^{١٢٧}. وتسمى اتفاقية ١٨٨٠ التي صدقت عليها الحكومة البريطانية في عام ١٨٨١ والتي وضعت البحرين رسمياً وعملياً تحت الحماية البريطانية (بالاتفاقية الانفرادية الاولى) تميزاً لها عن الاتفاقية الانفرادية الاخيرة التي ابرمت مع البحرين في ١٣ اذار عام ١٨٩٢^{١٢٨}. وفي عام ١٨٨٢ ادخلت بريطانيا على هذه التعهدات التزامات جديدة وهي:

١. عدم جواز التراسل بين حكومة البحرين وبين حكومات اخرى دون علم بريطانيا.

٢. عدم جواز بيع او رهن او السماح باحتلال جزء من اراضي البحرين لأية دولة اخرى عدا بريطانيا. وهكذا اصبحت بريطانيا صاحبة التصرف في شؤون البحرين الداخلية بحكم الامتيازات الاقتصادية والقضائية التي نصت عليها معاهدة سنة ١٨٦١ ثم اشرفت على سياستها الخارجية بشكل رسمي بمقتضى اتفاقيتي عام ١٨٨٠ وعام ١٨٨٢^{١٢٩}.

ثانياً: - معاهدة عام ١٨٩٢

على الرغم من ان معاهدة ١٨٨٠ لم تؤثر على الاتصالات الاخرى المعتادة مع الدول المجاورة في الامور الثانوية، فإن هذه المعاهدة كانت مقدمة لعقد معاهدة اخرى^{١٣٠}. جاءت بعد اشتداد التنافس الدولي في الخليج فقد اعتقد المقيم البريطاني

124 عادل رضا، المصدر السابق، ص ٣٨.

125 فؤاد سعيد العابد، المصدر السابق، ص ١٤٩.

126 انجيسون، المصدر السابق، ص ٢٢٦.

127 فؤاد سعيد العابد، المصدر السابق، ص ١٥١.

128 رجب حراز، المصدر السابق، ص ١٦٩.

129 صلاح العقاد. الاستعمار...، المصدر السابق، ص ١٣٣.

130 الخصوصي، المصدر السابق، ص ٥٣.

انذاك (أي، سي، تالبوت) ان نصوص اتفاقية ١٨٨١ غير كافية لحماية المصالح البريطانية^{١٣١}.

وفي يوم الثالث عشر من اذار سنة ١٨٩٢ تم توقيع المعاهدة التي نصت على ما يأتي^{١٣٢}:-

((نحن شيخ البحرين عيسى بن علي آل خليفة نتعهد رسمياً امام الكولونيل سي تالبوت الموظف السياسي البريطاني في الخليج بأسمنا واسم وراثتنا من بدو باتمام الشروط الاتية:

١. ان لا ندخل مراسلة او اتفاقيات مع اية دولة كانت عدا بريطانيا.

٢. لا نسمح بأية صورة من الصور لاي مندوب من مندوبي الدول الأجنبية بالبقاء او تأسيس علاقات له مع بلادنا دون الحصول على موافقة بريطانيا.

٣. نتعهد بعد استثناء الحكومة البريطانية، بأن لا نرهن ولا نعطي ولا نبيع قطعة من اراضي بلادنا الى اية دولة ولا نسمح قط بأية صورة كانت الى اجنبي ان يمتلك قطعة ارض من بلادنا))^{١٣٣}.

وعينت بريطانيا بعد توقيع هذا الاتفاق معتمداً سياسياً لها لمراقبة سير العمل في الجزيرة واتخذت من المنامة مقراً له ورفع العلم البريطاني عليها رسمياً^{١٣٤}.

حصلت بريطانيا بموجب هذه الاتفاقيات على مركز مهم قياساً لبقية الدول في المنطقة. وضعت البحرين تحت الحماية البريطانية في توجيه العلاقات الخارجية رغم عدم شرعية هذه الاتفاقيات من وجهة نظر القانون الدولي^{١٣٥}، سواء من حيث الاكراه على توقيعها او من حيث الالتزام بها من طرف واحد، فالشيوخ هم الذين يتعهدون ويلتزمون تجاه الطرف الاستعماري، الذي لا يلتزم بشيء او من حيث مدة الاتفاقية غير المحدودة بوقت^{١٣٦}.

بعد ذلك بعثت الحكومة البريطانية بمذكرتين الى الدولة العثمانية في ١٢ و ١٣ اب عام ١٨٩٥ تنفي فيهما ما تدعيه من احتفاظها بحق السيادة في البحرين

131 ابراهيم شريف، الشرق الاوسط، دراسة لاتجاهات سياسة الاستعمار حتى قيام ثورة ١٤ تموز ١٩٥٨ بغداد، ١٩٦٥، ص ٥٠.

132 فؤاد سعيد العابد، المصدر السابق، ص ١٥١.

133 ويلسون، المصدر السابق، ص ٣٩٨.

134 امين محمد سعيد، الخليج العربي في تاريخه السياسي ونهضته الحديثة، دار الكاتب العربي، بيروت، ص ٦٨.

135 امل ابراهيم الزياتي، المصدر السابق، ص ٩٢.

136 معهد البحوث والدراسات العربية، المصدر السابق، ص ٢٩.

137 ويلسون، المصدر السابق، ص ٣٠٠.

اعتبار انها باتت تحت الحماية البريطانية واستعدادها لأخذ كافة الاجراءات اللازمة لحمايتها^{١٣٨}.

عززت بريطانيا وجودها بالبحرين بتحالف في عام ١٨٨٠ وعام ١٨٩٢، وقد عرف اولهما بأسم المعاهدة المانحة الاولى اما الثانية فعرفت بأسم المعاهدة المانحة النهائية^{١٣٩}. ولو دققنا النظر في هذه المعاهدات التي تعتبر ناطمة للحماية لو جدنا انها قد تجاوزت فعلاً ما تنص عليه معاهدات الحماية التقليدية بين الدول، ذلك ان شيوخ البحرين لم يتنازلوا فقط عن بعض سلطاتهم بالنسبة لتوجيه العلاقات الخارجية وانما تعدوا ذلك فتخلوا عن جانب كبير من سلطاتهم وصلاحياتهم الخاصة في السيادة الداخلية^{١٤٠}.

ثالثاً:- تحريم تجارة الاسلحة

لم تكن في البحرين اية تقيدات داخلية على تحريم الاتجار بالاسلحة والذخيرة، كانت اعمال الاتجار وتهريب الاسلحة تتم بدراسة وعلم من قبل الشيخ عيسى، حيث كان احد ابنائه، مستفيداً من هذه التجارة^{١٤١}.

وفي عام ١٨٩٥ هدد الشيخ قاسم بن ثاني واعوانه بالهجوم على البحرين من البر ولم يكن في الامارة الا مئة بندقية، مما جعل الحاكم يشعر بضعف بلاده، وفي ٢١ كانون الثاني ١٨٩٦ اصدر الشيخ اعلاناً بمنع استيراد الاسلحة النارية الى البحرين وان المخالف سيتعرض الى العقوبة، الا انه سرعان ما منح اعفاءً خاصاً او احتكراً لصالح وزيره عبد الرحمن بن عبد الوهاب، وكان هذا الامتياز لمدى حياة المستفيد ولكن بشرط ان لا تباع الاسلحة للمواطنين في البحرين وقطر والساحل العربي ما عدا ساحل عمان^{١٤٢}. اما الشرط الاساسي فكان القصد منه تأمين تزويد الشيخ بالاسلحة، وذلك بأن يتعهد صاحب الامتياز بدفع ضريبة سنوية عبارة عن ٣٠ بندقية مارتيني و ٦٠٠ طلقة نارية بالاضافة الى ضريبة كمركية، وقد نقل الوزير امتيازاه بلا تأخير الى الاغا محمد رحيم والذي نقل بدوره الامتياز كلية على اساس شروط معينة لاقتسام الربح مع الشركة الفارسية فراسيس وتيمز وشركائهم ذات السمعة المشبوهة والتي قدرت ارباحها من تجارة الاسلحة في الخليج منتصف ١٨٩٧، بمبلغ لا يقل عن

138 الخصوصي، المصدر السابق، ص ٥٤.

139 احمد الغاني، المعالم الاساسية لتاريخ الخليج وبحوث اخرى، بحوث خليجية، ط١، مؤسسة الشرق العامة للنشر والترجمة، ١٩٨٤، ص ٧٠.

140 معهد البحوث والدراسات، المصدر السابق، ص ١٣٠.

141 The Persian Gulf Administration Reports 1873-1947, Vol. vi 1905-1911, p.71.

142 لوريمر، القسم التاريخي، ج ٣، المصدر السابق، ص ٣٧٢٣.

٤٠٠٠ ر. ٤٠٠٠ جنيه^{١٤٣}. وكانت هذه الشركة قد انشأت أول وكالة لها في الخليج في شهر عام ١٨٨٧. وفي عام ١٨٩٥ افتتحت الشركة وكالة في البحرين تحت اسم الاغا محمد رحيم^{١٤٤}. وفي شباط ١٨٩٨ زار الرائد ميد Meade المقيم السياسي في بو شهر البحرين وفي ٣٠ نيسان من نفس العام عقد الشيخ عيسى معاهدة ثلثة مع بريطانيا^{١٤٥}. نصت على تحريم استيراد وتصدير الاسلحة من البحرين واليمن. سمح للسفن الفارسية والبريطانية بتفتيش السفن المشتغلة بتلك التجارة في مياه البحرين الاقليمية^{١٤٦}.

رابعاً:- التمثيل السياسي البريطاني في البحرين:

وضعت الشركة الانكليزية منذ مطلع القرن التاسع عشر وكيلاً لها في البحرين تابعاً لبو شهر وتوثقت تبعية المقيم لبو شهر بعد ١٨٤٢^{١٤٧}. وفي سنة ١٨٩٩ شعر بأن الوقت قد حان لابدال الرجل البحريني الذي يمثل الحكومة البريطانية في البحرين بمسؤول بريطاني وكان الوكيل البريطاني في عام ١٨٩٩ تاجراً من البحرين اسمه (اغا محمد رحيم) وكانت طباعه مختلفة عن طباع شيخ البحرين. يكن للشيخ أي نفوذ عليه^{١٤٨}. وقد ازدادت اهمية البحرين في نهاية القرن التاسع عشر عندما اشتد التنافس بين روسيا والمانيا والدولة العثمانية وبريطانيا للسيطرة على الخليج^{١٤٩}. فركزت بريطانيا اهتماماً كبيراً على البحرين كنقطة انطلاق لسياساتها في الامارات بعد ذلك، وكان اول عمل قامت به لتعزيز هذه السياسة هو إنشاء وكالة سياسة (Political Agency)^{١٥٠}. فتم تعيين موظف بريطاني بصفة مؤقتة وبعد عام ١٩٠٠، أصبحت الوظيفة دائمية وعين ج.س جاسكين (J.C.Gaskin) كسفير وكيل سياسي في البحرين وبنيت دار الوكيل في المنامة خلال ١٩٠١.

143 المصدر نفسه، ص ٣٧٢٤.

144 المصدر نفسه.

145 اصدر الشيخ عيسى مرسوماً اعلن فيه خطر الاتجار في الاسلحة واعطاء الحق للسفن الرسمية في تفتيش السفن المشتبه بها كذلك منح حق تفتيش السفن البحرينية في المياه الفارسية، ينظر/:- علي ابا حسين، المصدر السابق، ص ٢٩.

146 رجب حراز، المصدر السابق، ص ١٧، انجيسون، المصدر السابق، ص ٢٨٣.

147 عبد العزيز عبد الغني ابراهيم، حكومة الهند، المصدر السابق، ص ١٥٥-١٥٦.

148 لوريمر، القسم التاريخي، ج ٣، المصدر السابق، ص ١٤٠١.

149 انجيسون، المصدر السابق، ص ٢٨٤.

150 محمد كريم ابراهيم وطالب جاسم محمد، الوثائق البريطانية المتعلقة بالبحرين، مجلة العربي، العدد الرابع، البصرة، ١٩٨٨، ص ١٠٦.

(١٩٠٢) وبعد اربع سنوات ابدل جاسكين بالكابتن ف.ب.بريدوكس (F.B.Brideaux) والذي خول فيما بعد بالفصل في قضايا الاجانب^{١٥٢}. وفي عام ١٩٠١ زودت بريطانيا وكيلها السياسي في البحرين بصلاحيات واسعة وعينت مستشاراً بريطانياً الى جانب شيخ البحرين في المنامة واستولت عام ١٩٠٥ على ميناء الزبارة^{١٥٣}، ثم جعلت لنفسها الحق في استغلال ثروة البحرين بمقتضى اتفاقيتين عقدتهما مع شيخ البحرين الاولى عام ١٩١١ بشأن استغلال مصائد اللؤلؤ والاسفنج^{١٥٤}، وفي اواخر عام ١٩١٢ منح ارضاً لتتسأ عليها محطة تلغراف ولاسلكي^{١٥٥}. والثانية في تشرين الاول عام ١٩١٤ تعهد الشيخ عيسى بألا يسمح بمنح امتيازات البترول واستغلال حقول البترول دون موافقة الحكومة البريطانية^{١٥٦}.

خامساً:- التشريع للأجانب:

اخذ ازدهار اللؤلؤ الذي شهدته البحرين في نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين والذي رافق الازدهار السياسي في الخليج يجتذب الى البحرين اعداداً كبيرة من العمال والمستثمرين والتجار الاجانب فبسبب هذا التواجد الكبير للاجانب، مشكلة قضائية جديدة تتعلق بكيفية تعامل الهيئات الرسمية في البحرين مع الرعايا غير البحرينيين، ولم تكن هذه المشكلة مطروحة رسمياً قبل عام ١٨٠٤ وذلك ان العرف قبل هذا التاريخ، اعطى البريطانيين حق فض المشاكل بين التجار الاوربيين الذين عملوا في البحرين، واعطى حاكم او حكام البحرين تدبير شؤون بقية السكان^{١٥٧}، ان التشريع على الاجانب استرعى اهتمام الانكليز حين جرى حادث مع ابن اخ الحاكم الشيخ علي في ايلول ١٩٠٤^{١٥٨}.

ففي هذا العام وقعت حادثة ضرب خلالها موظف الماني يعمل لدى شركة ونكهافوس الالمانية، وكان الشيخ علي هو المتهم بهذه الحادثة^{١٥٩}، كما كان الشيخ علي

151 عبد العزيز عبد الغني ابراهيم، حكومة الهند، المصدر السابق، ص ١٥٧.

152 محمد كريم ابراهيم، المصدر السابق، ص ١٠٦.

153 ان الزيارة كانت تشكل مصدر قلق بالغ للسلطات البريطانية، حيث انها كانت مركز تهديد دائم للبحرين بتشجيع من العثمانيين، ولذلك قررت بريطانيا عام ١٩٠٥ التخلص من خطرها فاسترلت عليها، واصبحت بذلك تهدد الوجود العثماني في قطر بالاضافة الى حمايتها للبحرين من الخطر الذي طالما هدها من هذا الموقع ينظر:- فؤاد سعيد العابد، المصدر السابق، ص ١٥٤.

154 رجب حراز، المصدر السابق، ص ١٧.

155 وايمز، المصدر السابق، ص ٢٢١.

156 انجيسون، المصدر السابق، ص ٢٨٤.

157 فؤاد اسحق الخوري، المصدر السابق، ص ١٣٥.

158 معهد البحوث والدراسات العربية، المصدر السابق، ص ٣٠.

159 امين الريحاني، ملوك العرب...، المصدر السابق، ص ٢٨١.

متهماً في حادث جرح فارسين، واشتكى موظف ونكهاسوس الالماني الى قنصل دولته في بو شهر مطالباً بالتعويض، كما اشتكى الفارسيان الى الشاه^{١٦٠}، فرفعت الدعوى الى الوكيل السياسي البريطاني والحكومة الالمانية وخلال هذه الاحداث جاء بريدوكس ليحل محل جاسكين وها الاخير كان قد طلب من الشيخ عيسى جلد المتهمين من رجال الشيخ علي وان يدفع تعويضاً الى الموظف الالماني مقداره ١٠٠٠ روبية^{١٦١}، وعندما جاء بريدوكس اكد المطالب السابقة حيث لم تكن لديه خيارات اخرى. هذه الامور كلها قد اقلقت السلطات البريطانية في كل من منطقة الخليج ولندن، فاستغل السير برسي كوكس^{١٦٢}، الظرف وحضر الى البحرين مع بوارجه^{١٦٣}. ثم عرض الوكيل لائحة تطالبه الحكومة البريطانية جراء ضرب الالماني. وتم حرق السفن البحرية الحربية^{١٦٤}، ونفي الشيخ علي الى بومباي لمدة خمس سنوات، وتم الغاء اعمال السخرة على الاجانب واعطاء المسؤولين البريطانيين حق الاشراف على شؤون الجاليات الاجنبية ووضعت هذه الاتفاقية لعام ١٩٠٤ موضع التنفيذ فوراً وقبل اعتراف الحكام بها رسمياً^{١٦٥}.

سادساً:- تنظيم العوائد الكمركية في البحرين

اسست اول ادارة كمارك في البحرين سنة ١٨٦٠ وظلت تحت سيطرة الشيخ عيسى المباشرة حتى سنة ١٨٨٨^{١٦٦} حينما وكل امر جمع العوائد للمتعهدين المحليين وكان معظم من التجار الهنود. وكانت تجارة البحرين انذاك تزدهر بفضل المجهودات البريطانية^{١٦٧} ويبدو ان الشيخ عيسى بن علي ارتاح لهذا النظام حيث انه صار يضمن له تصريف المبلغ المطلوب نقداً، غير ان هذا النظام والذي انتشر في بلدان اخرى من الولايات المتحدة كان له اسوأ الاثر على السكان لانه يطلق يد جماعة من المستغلين في ممتلكات الاهل.

160 معهد البحوث والدراسات العربية ، المصدر السابق، ص ٣٠.

Busch, op. cit., pp.148-149

162 برسي زكريا كوكس، ولد في العشرين من تشرين الثاني ١٨٦٤ في مدينة هيرونغات Herongate إحدى مدن مقاطعة اسكس Essex الواقعة جنوب شرق انكلترا... تخرج من الاكاديمية العسكرية الملكية في شباط ١٨٨٤... رافق كوكس الحملة البريطانية على العراق عام ١٩١٤ بوصفه الضابط السياسي الاول وكان له دور كبير في ترشيح فيصل ملكاً على العراق ثم عنه ينظر:- منتهى عذاب ذويب، برسي كوكس ودوره في السياسة العراقية ١٨٦٤-١٩٢٣، رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية الاداب، جامعة بغداد، ١٩٩٥، ص ٢٦-٢٧.

163 معهد البحوث والدراسات العربية ، المصدر السابق، ص ٣٠.

164 امين الريحاني، ملوك العرب ، المصدر السابق، ص ٥٨٢.

165 فؤاد اسحق الخوري ، المصدر السابق، ص ١٣٥.

166 ويلسون ، المصدر السابق، ص ٣٩٨.

167 لوريمر، القسم التاريخي، ج٣، المصدر السابق، ص ١٣٩٧.

وارادت بريطانيا تغيير هذا النظام غير ان الشيخ عيسى تمسك بنظام الالتزام^{١٦٨}. وحاولت بريطانيا عام ١٩٠١ ادخال ما تسميه باصلاحات في ادارة الكمارك في البحرين وذلك في سبيل توطيد سلطة حكومة الهند البريطانية عليها من خلال تعيين مدير للكمارك بريطاني او هندي لان مثل هذا التعيين يؤكد للعثمانيين السلطة البريطانية على البحرين^{١٦٩}. وظلت مسألة الضرائب في البحرين كما هي، حتى جولة اللورد كيرزن في الخليج العربي عام ١٩٠٣، والتي اكد له فيها الشيخ عيسى بأن مسألة الضرائب مسألة خاصة^{١٧٠}.

حاول المقيم البريطاني في اب ١٩٠٦ اقناع حاكم البحرين بأعطاء حق جمع الضرائب الكمركية لحكومة الهند مقابل مبلغ محدد وقد رفض الشيخ ذلك^{١٧١}. وفي عام ١٩٠٨ انتدبت بريطانيا المسز بوور Bower من قسم الكمارك بالهند لتنظيم كمارك البحرين، وكانت تهدف من ذلك الهيمنة على البحرين بفرض سياسة التدخل في شؤونها الداخلية بأدخال ابر عدد ممكن من الموظفين الاجانب كالهنود وغيرهم في الادارة والمحاكم والكمارك^{١٧٢}. وقد ظلت الشؤون الكمركية في ايدي الهنود وكان يساعدهم ممثل شخصي لحاكم البحرين ولا يكسب شيخ البحرين اكثر من مائة الف روبية من عائدات الكمارك وهو راض بهذا المبلغ ويعتقد بأن سبب قلة الوارد الكمركي يرجع الى الكساد في التجارة^{١٧٣}.

الخاتمة

البحث بين حقيقة التنافس الاوربي على الخليج العربي والذي كان متناوباً بين القوى الدولية الكبرى آنذاك بدأ من البرتغاليين والهولنديين ثم البريطانيين طيلة القرون الماضية، غير ان بريطانيا تمكنت بأساليب مختلفة وادعاءات واهية من ان تضع يدها على منطقة الخليج العربي، وتخضع اماراته الواحدة تلو الاخرى لسيطرتها وان تربطها بسلسلة من الاتفاقيات والمعاهدات التي جعلت من المنطقة محمية بريطانية ومنها البحرين.

اولت بريطانيا البحرين اهتماماً خاصاً نظراً لما تتمتع به البحرين من موقع استراتيجي مهم حيث ان موقع البحرين كجزيرة جعلها بمثابة مركز الدائرة بالنسبة لبقية مناطق الخليج العربي، هذا فضلاً عن ما تمتلكه من ثروات دفعها لربط البحرين باتفاقيات اخضعتها للاحتلال والحماية البريطانية، كما ارغمت حكامها ومنهم الشيخ عيسى للامتثال الى السياسة البريطانية طيلة القرن التاسع عشر والعشرين، واثبتت وجودها من خلال انشاء المراكز والخطوط البريدية في جهات مختلفة من الامارة. وتمكنت ايضاً من احتكار الامتيازات الاساسية المتمثلة بامتيازات استخراج اللؤلؤ والاسفنج ومن ثم النفط الذي يعتبر اهم تلك الثروات التي استطاعت بريطانيا من ضمان احتكاره لصالحها.

168 امل ابراهيم الزياتي، المصدر السابق، ص ٨٣.

169 علي ابا حسين، العلاقات التاريخية بين البحرين والهند، البحرين، ١٩٩٦، ص ٢٧.

170 علي ابا حسين، المصالح الاقتصادية البريطانية، المصدر السابق، ص ١٧.

171 المصدر نفسه، ص ١٨.

172 علي ابا حسين، العلاقات التاريخية، المصدر السابق، ص ٢٨.

173 المصدر نفسه، ص ٢٩.

وقد استمر التفوق البريطاني في البحرين وازداد رسوخاً بعد انتهاء الحرب العالمية الأولى حيث أغلق باب التنافس الأوربي على الخليج العربي بعد اندحار الدول العظمى والمانيا في الحرب، وللحفاظ على نفوذها المتميز في البحرين فإن بريطانيا اتجهت الى حالة من الاستقرار في المنطقة فقامت بتسوية النزاعات الدائرة بين اقطار الخليج بشكر وببين البحرين وجيرانها بشكل خاص. كما وازدادت مكانة بريطانيا في البحرين بشكر كبير على الرغم من المعارضة الكبيرة في داخل البلاد بسبب الاجراءات التي حاول لوكس السياسيون البريطانيون من قرضها على الحاكم بقوة واجباره على تطبيقها وبالاكراه. ويمكن القول ان البحث خرج ببعض الاستنتاجات:-

ان بريطانيا تعمل ما في وسعها لحماية مصالحها سواء بالقوة ام باستخدام الدبلوماسية وبما ان البحرين تحتل موقعاً ستراتيجياً مهماً جعلت بريطانيا منها قاعدة للسيطرة عليه ومن ثم على كل دول الخليج وتهديدها بالتدخل المستمر والمباشر كما ارتكبت اخطاء قد تهدد السلم البحري، كما انها تحكمت في شؤون البحرين الخارجية والداخلية، وعملت على تنصيب الشيخ عيسى بالقوة وحاربت كل محاولات الاعتداء من جانب قطر، والتي كانت مقر المعارضة البحرينية بزعامه ناصر بن مبارك وبدعم من شيخ قطر قاسم بن ثاني، الا ان جميع هذه المحاولات احبطت بالقوة اما فيما يخص موقف بريطانيا القوي تجاه القوى الطامعة في البحرين والمتمثلة بالدولة العثمانية وفارس والمليحة يكن هذا الموقف حرصاً منها على امن البحرين وسيادتها وانما لحفظ مصالحها وحماية وجودها كقوة لا مثيل لها في الخليج.

ملحق رقم (١)

خارطة توضح علاقة البحرين بالساحل القطري (*)

